ان اللقاء الذي تمّ بين اوري وحلمي هو اللقاء الاهم الذي وقع في الرواية: اوري يريد الالتقاء مع الاصل أو صاحب البلاد الحقيقي او حتى اللاوعي الجمعي الذي يتمثل بحلمي.

وعلى الرغم من كل النواقص التي تعتور شخصية حلمي التي اسطرها غروسمان، الاّ انها تبقى مبادرة طيبة من قبله لتصوير العربي على نحو ايجابي.

موضوعة الكتاب (الشيمة) الاساسية هي الكذب مقابل الصدق، والحرية مقابل الجور، والظلم والاحتلال والخيانة مقابل الاخلاص. وفي النهاية تتوازى شخصيات الرواية مع الواقع، فتنهار العلاقات التي بينها (كواقع الاحتلال) وترتفع نبرة التصوير الدرامي للواقع والشخصيات.

الرواية تقدّم صورة سلبية عن بشاعة الاحتلال (الذي يمتد بتأثيراته حتى تل ـ أبيب؛ شوش ومـوردي) ومدى تأثيره في الشخصيات. ومع ضرورة تأكيد أهمية محاولة غروسمان تصويره لهذا الواقع ومواقفه الايجابية التي تتبدى في الكثير من صفحات الرواية، فان الكتاب يقدم صورة لطريق مسدود.

«الزمن الاصفر»؛ اعادة البحث في الواقع

صحيح، ان مجلة «كوتيرت راشيت» هي التي طلبت من غروسمان زيارة المناطق المحتلة وكتابة هذا الريبورتاج، لكن غروسمان يشير، في صفحات «الزمن الاصفر»[٧] (ص ١٦٩، ١٧٠)، الى ان الاحتلال ظل رابضاً على صدره كأبي الهول، حتى بعد كتابته روايته «ابتسامة الجدي».

ان نهاية رواية «ابتسامة الجدي» ظلت شبه مفتوحة تنتظر اجابة عن كل حدث: كاتسمان واوري وحلمي وما ينتظر الطائرة العمودية التي طارت باحثة عن عندل (ابتسامة الجدي: ص ٢٨٢). كل هذه الامور ظلت معلقة في رواية «ابتسامة الجدي». لذا، فان رحلة غروسمان التي قام بها للكتابة عن المناطق المحتلة ليست رحلة تمّت بناء على طلب المجلة المذكورة آنفاً فقط، وانما تحقيق لرغبة في نفس غروسمـان لتأصيل عالم روايته التي قدمت طريقاً مسدوداً وقاسياً امام الطرفين المتنازعين. ويكاد يلاحـظ قارىء روايـة «ابتسامة الجدي» انها كانت تحضيراً لكتابة الوثيقة الادبية الفنية «الزمن الاصفـر»[٨]، التي استـطاعت ان تضـاهي الرواية. والكتاب ـ «الزمن الاصفر» ـ على الرغم من وثائقيته، يستفيد من قدرات غروسمان الادبية، ويشير الى قدرة تأثير الريبورتاج العبري وفنيّته التي تفوق الرواية. فانجاز الادب العبري، في احيان، يتجلى في الريبورتاج، كما حدث لعوز ولغروسمان، أكثر مما يتجلى في الادب الذي يحاكي الصرعات الغربية ولا يقدم واقعاً متميزاً.

العربي في الوثيقة

يستعيد العربي في «الزمن الاصفر» تأصيلاً لما حاوله غروسمان في «ابتسامة الجدي»، حقيقة. فالشخصيات الواردة في الريبورتاج تحكي عن نفسها بنفسها. فهي ليست بحاجة الى «وسيط» ما، ليشوّه ويقولب تفكيرها، وهي قفزة نوعية ممتازة في مسيرة تصوير العربي في الادب العبري الحديث[٩].

الشخصيات في «الزمن الاصفر» مأخوذة من الواقع، وليست مفروضة على الواقع المعاش. ان سرّ نجاح الريبورتاج هو في تقديمه الواقع، فنرى ان شخصية «أبو حرب»، وهي شخصية حقيقية، تستغل التخييل وتحدِّث الكاتب (غروسمان) عن الزمن الاصفر على نحو اسطوري وتخييلي رائع (ص ٦٤). فالاسـطورة، في هذا الكتـاب، تنبع من الواقع ولا تؤسطر الشخصية وتفرضها على الواقع،